النصوص التوثيقية في رحلة ابن حمادوش الجزائري
- قراءة في المنهج والمحتوى-

Notarial Texts in the Journey of Ibn Hamadouch
- Areading of Metodology and content -

مختار بزاوية [1*]، سفيان شايدة [2]، ليندة قازي تاني [3]

[1] جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر (الجزائر) .

[2] جامعة وهران1 أحمد بن بلة (الجزائر) .

[3] جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر (الجزائر)

تاريخ الاستلام : 01 أوت 2023 ؛ **تاريخ المراجعة :** 04 ديسمبر 2023 ؛ **تاريخ القبول :** 27 ماي 2024

ملخص:

رصد الرحالة الجزائريون مظاهر متعددة للبلدان والأقطار التي حلوا بها، وأسهموا في التعريف بتراثها الثقافي والاجتماعي، فكانت رحلاتهم وثائق تاريخية ذات أهمية بالغة. وتتناول في هذا البحث بعضا من هذه المظاهر الثقافية والاجتماعية للأدب الرحلي في التراث الجزائري، وقد ركزنا على الجانب الذي يُعنى بالنصوص التوثيقية في العقود، في منهجها ومحتواها، خاصة ما تعلق منها بعقود الزواج. واخترنا لذلك رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة: "لسان المقال في النّبإ عن النّسب والحسب والحال"، التي أورد فيها مجموعة منها مفصلة، مع نقل تلك الصيغ الشائعة في ذلك العصر.

الكلمات المفتاحية: الرحلة؛ الجزائر؛ ابن حمادوش؛ العقود التوثيقية؛ الزواج.

Abstract:

Algerian travelers monitored various aspects of the countries and regions they visited and contributed to the definition of their cultural and social heritage. Therefore, their travels were of great historical importance. This research focuses on certain cultural and social aspects of travel literature in Algerian heritage, specifically examining the notarial texts within contracts, including those related to marriage contracts, in terms of their approach and content. To fulfill this objective, we have chosen to analyze the journey of Ibn Hammadush al-Jaza'iri.

Keywords: Journey; Algeria; Ibn Hamadush; notarial contracts; marriage.

1- مقدمة

يُعتبر الأدب الرحلي من المراجع التاريخية الهامة، فهو يصف مشاهدات الرحّل للحواضر والبلدان لعدة مظاهر: جغرافية وثقافية، واجتماعية، وسياسية، ودينية وغيرها. ضِف إلى ذلك أنه صُنِّف من الفنون الأدبية التي شاعت لدى العرب منذ القديم، فله من الخصائص الفنية ما يجعله ينافس الأجناس الأدبية الأخرى. فالنص الرحلي يوفّر المتعة وجماليّة العرض لحقائق ذات صلة بالزمان والمكان، وهذا الفضاءان هما مصدرا إلهام الرحالة الأديب، ومادته العلمية والمعرفية.

*Corresponding author: e-mail: mokhtar.bezzaouya@univ-mascara.dz.

وكانت الأسباب التي هيأت لهذه الرحلات كثيرة، منها أنّ اختلاط العرب بالشعوب الأخرى كان سببا في نشأة المدنية وتطور العلم والمعرفة وسيادة العرب المسلمين على الأمم الأخرى، مما شجع على الأسفار والرحلات والاكتشافات والدراسات الجغرافية، ومنها أيضا أن الحجّ كان من أعظم بواعث الرحلات، فإن قلوب المسلمين تهفو صوب الأماكن المقدسة في الحجاز، تأدية لفريضة الحج وزيارة لقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم(حسن، 1981، ص05-06). وقد اصطلح على هذه الرحلات خاصة "الرحلات الحجازية". وهناك أسباب أخرى كالتجارة والملاحة والاستكشاف وطلب العلم وغيرها.

والمتأمل في الرحلات عموما على اختلاف أنواعها يجد زخما كبيرا من صنوف المعرفة، جمعها الرحالة ودونوها في كتبهم دونما تنظيم أو تصنيف، وغالبا ما يصفون كل مشاهداتهم وما رصدته أعينهم. فالرّحالة وهم يقدّمون هذه المعارف المتعددة، فإنهم يقدّمون في الوقت نفسه جانبا من سيرهم الذاتيّة (عبد الغني، 2007، ص09)، ويكشفون عن مواهبهم ودوافعهم للقيام بتلك الرحلات، والآثار التي خلفوها للأجيال(الشوابكة، 2008، ص244).

ولم يكن العلماء والأدباء الجزائريون بمنأى عن فن الرحلات، فقد اشتهر منهم عدد لا بأس به، جابوا البلدان والأقطار، وخاضوا غمار القيافي والقفار، ومخروا عباب البحار، ومن أشهرهم: أبو يعقوب الوارجلاني(ت571ه) برحلته الحجازية، جمعها في قصيدة مطولة تتضمن437 بيتا(بخيتي، 2016، ص15). ورحلة التوجيبي التلمساني(ت730ه) (أنساعد، 2009، ص59)، ورحلة ابن مرزوق الخطيب (ت780ه)، ورحلة ابن قنفذ القسنطيني (ت810ه) ورحلة عبد الرحمن الثعالبي(ت875ه) (بخيتي، 2016، ص21)، ورحلة الحسين الورثيلاني (ت1193ه) وعنوانها: "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"(نويهض، 1980، ص340)، ورحلة عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري (ت1197ه)، وعنونها بـ " لسان المقال في النّبإ عن الحسب والنسب والآل"(ابن حمادوش، 1983، ص10)، ورحلة أبي رأس الناصر المعسكري(ت1204ه)، ووسمها بـ "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته"(أنساعد، 2009، ص41). ورحلة أحمد بن عمار(ت1205ه)، وسماها: " نحلة اللّبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب"(بخيتي، 2016، ص33). وغيرها من الرحلات.

والباحث في الدراسات المنجزة حول أدب الرحلات يجد جهودا منجزة، لكن الإشكال المطروح هل تمت دراسة الرحلات -خاصة الجزائرية منها- دراسة وافية تتطرق لكل الجوانب المتعلقة بها ، طبعا هذا الهدف لا يزال بعيد المنال خاصة أن هذه الدراسات أغلبها اكاديمية يكرر بعضها بعضا ويستعجل فيها الباحثون استكمال أطروحاتهم في الماستر والدكتوراه متناولين العموميات دون الوقوف على جوانب مهمة ودقيقة فيها.

ومن أجل هذا حاولنا البحث في أدب الرحلات بإضافة علمية دقيقة، وهي تناول جانب اجتماعي ثقافي في الآن نفسه حول عقود الزواج في مجتمعنا الجزائر في الفترة العثمانية، واخترنا لذلك رحلة ابن حمادوش الجزائري، الذي صور جانبا من هذه العقود التوثيقية، معتمدين المنهج التاريخي التحليلي.

أمّا الدراسات السابقة حول هذا الموضوع فلم أعثر –في حدود بحثي- على من درس هذا الجانب الاجتماعي الدقيق في رحلة ابن حمادوش، وإنما هي دراسات عامة حول هذه الرحلة، أو ما تعلق بالجنس الأدبي الرحلي، أو علاقتها بالتاريخ، أو الخاصية السردية، ونذكر منها:

- مقدم فاطمة: "**الخصائص السردية في رحلة ابن حمادوش الجزائري**"، وهي مذكرة ماجستير، جامعة وهران، الموسم الجامعي 2011/2010. تناولت فيها صاحبتها أهم الخصائص السردية في الرحلة متجاوزة بذلك الطرح الكلاسيكي لأدب الرحلة من حيث مونها مجرد وثيقة تاريخية وجغرافية فحسب.

- عيسى بخيتي: "**أدب الرحلة الجزائري الحديث –سياق النص وخطاب الأنساق-**". وهي أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، للموسم الجامعي 2016/2015. وتناول فيها صاحبها رحلة ابن حمادوش من الجانب التأريخي للرحلات الجزائرية فقط، وصنّفها في قسم الرحلات العلمية، ولم يتعد حديثه عنها سوى بعض الصفحات.

- هند تمار: "**تداخل الأجناس الأدبية في أدب الرحلة -مدونة ابن حمادوش الجزائري أنموذجا-**". وهي مذكرة ماجستير، جامعة غرداية، الموسم الجامعي 2015/2014. وركز صاحبها على قضية الرحلة وعلاقتها بالأجناس الأدبية الأخرى، ليخلص إلى أن رحلة ابن حمادوش جنس أدبي هام ضم معظم الأجناس الأدبية القديمة الشعرية والنثرية، التي كانت من إبداع المؤلف نفسه أو نقولا عن غيره، وطرق فيها جل موضوعات عصره، حتى عدت ترجمانا، بل ومصدرا من أهم المصادر التي كشفت عن بعض المظاهر الثقافية، الاجتماعية والسياسية في العهد العثماني.

- نصيرة بحري: "**استقراء التاريخ من خلال رحلة ابن حمادوش الجزائري**". وهو مقال في مجلة مدارات تاريخية، المجلد01، العدد03، 2019. وقد تناولت صاحلة المقال رحلة ابن حمادوش وعلاقتها بالتاريخ، وأهم القضايا التاريخية التي استأثرت باهتمام صاحب الرحلة.

- وردة لعراب وعبد اللطيف حني: "**إشكالية الشرعية الأجناسية لرحلة ابن حمادوش الجزائري**". وهو مقال في مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية، المجلد04، العدد02، 2021. وهو مقال ناقش فيه صاحبه إشكال تجنيس أدب الرحلة والخصائص التي تميزه عن الأجناس الأدبية الأخرى، واختار أنموذجا وهو رحلة ابن حمادوش التي تمتاز عن أدب السيرة الذاتية، خاصة أنّ ابن حمادوش تناول العادات الاجتماعية بكثرة.

بالإضافة إلى عشرات مذكرات الماستر التي يغلب عليها كثرة النقول، وليست بحوثا جادة. وعليه فنحن أول من يطرق هذا الجانب الاجتماعي في هذه الرحلة والله أعلم.

1.1- التعريف بأدب الرحلات:

في اللغة جاء في اللسان مادة "رحل": الرّحْل مركب للبعير والناقة، وجمعه أرحل، ويقال رحلت البعير أرحله رحلا، إذا علوته. ويقال رحل الرجل إذا سار، ويقال قوم رحل أي يرتحلون كثيرا، ورجل رحّال: عالم بذلك مجيد له. والرحول والرحولة من الإبل: التي تصلح أن ترحل، وهي الراحلة تكون للذكر والأنثى، فاعلة بمعنى

مفعولة. وارتحل البعير رحلة: سار فمضى، ثم جرى ذلك في المنطق حتى قيل: ارتحل القوم عن المكان ارتحالا. ورحل عن المكان يرحل وهو راحل من قوم رحل: انتقل. والترحل والارتحال: الانتقال وهو الرحلة والرحلة. والرحلة: اسم للارتحال للمسير (ابن منظور، (دت)، مادة "رحل").

ويمكن تلخيص معاني لفظ "الرّحلة" في: السّير والانتقال والوجهة أو المقصد الذي يراد السّفر إليه، ودنو المكان المراد الوصول إليه، أو اقتراب وقت الرّحيل ولهذه المعاني كلّها لفظ رحلة يطلق على من انتقل من مكان لآخر، ومنه أُخِذ لفظ رحّال: وهو الشخص المتنقل من مكان لآخر(نواب، 1996، ص40).

أما تعريفها اصطلاحا فقد جاء في معجم المصطلحات العربية أنّ أدب الرحلات هو: «مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلِّف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمَنَاظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد...ويعتبر أدب الرحلات -إلى جانب قيمته الترفيهية والأدبية أحياناً- مصدراً هاماً للدراسات التاريخية المقارنة»(وهبة، 1984، ص17).

وجاء في تعريف آخر لابن قينة أنه: «أدب وصفي ذو طابع إخباري وتسجيلي، يهتم بجمع أخبار البلاد والعباد، وتسجيل المشاهد الغريبة والطريفة، وهو يتسم بسمات تاريخية وجغرافية لاهتمامه بحياة الناس وتقاليدهم، وأنماط عيشهم، كما يتميز بمضمونه الفكري والاجتماعي وأسلوبه الأدبي غالبا عما سواه»(بن قينة، 1995، ص11).

في حين عرّفه بن سعيد العلوي أنه: «جنس أدبي له من الصفات والخصائص ما يكفي لتمييزه عن الأجناس الأدبيّة، كونه خطاب مخصوص له منطقه الذّاتي وبناؤه ومكوّناته وعناصره، يجمع بين الإفادة عندما يخبرنا عمّا يراه، والإمتاع لما يرصد لنا ما هو عجيب، يفيد القارئ من جهة، ويمتّعه من جهة أخرى بما يتضمّنه من مشاهد وحقائق جديدة» (العلوي، 1995، ص14).

وبتعبير آخر يُعتبر أدب الرّحلة مدرسة جامعة تزخر بالعبر والعلوم المختلفة، فهي تلك الحلقة المدهشة التي عملت على اكتشاف الذّات الإنسانية، واختراق الحواجز بين مختلف الشعوب والأقوام، فهي سرّ وحدة النّاس وخاصة في زمن انعدمت فيه وسائل الاتصال(حليفي، 2006، ص45).

2.1- التعريف بابن حمادوش الجزائري:

هو عبد الرزاق بن محمد بن محمد المعروف بابن حمادوش الجزائري، دارا ومنشأ، الأشعري عقيدة المالكي مذهبا، الشريف نسبا، عاش خلال القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي)، ولد سنة 1107هـ-1695م، وتوفي بعد حوالي تسعين سنة في مكان وتاريخ مجهولين، وقد درس في وطنه وتزوج به وتقلد بعض الوظائف الدينية، جاب العالم الإسلامي، مشرقه ومغربه، وحج بيت الله الحرام. وقد عاصر ابن حمادوش

أحداثا هامة في بلاده وفي العالم، فقد استقلت الجزائر أو كادت عن الدولة العثمانية في عهد حكم الدايات، كما عاصر تسلط اليهود الاقتصادي، وانحسار موجة غنائم البحر، وبعض الغارات الإسبانية على الجزائر مثل غارة أوريلي سنة 1775. كما شهد الحرب الأهلية بالمغرب الأقصى التي كاد يذهب ضحية لها، كما شهد الحروب التي جرت بين حكام الجزائر وحكام تونس، وشهد تدهور الدولة العثمانية في عدة جبهات خاصة مع الجبهة الروسية، وعاش أيضا أحداث الثورة الفرنسية التي غيرت معالم الخريطة الأروبية التي كان لها صدى في الشرق الإسلامي"(ابن حمادوش، 1983، ص09-10).

أما ثقافة ابن حمادوش فهي واسعة حيث درس العلوم الشرعية واللغوية، وكان مهتما بالفقه والنحو والتصوف والأدب والتاريخ، ولكنه كان يميل بطبعه إلى العلوم الرياضية والطبية وما شاكلها، فهو صيدلي وطبيب وحسابي وفلكي وفرضي ومنطقي(ابن حمادوش، 1983، ص09-10).

كما كان شغوفا بالمطالعة، خاصة كتب الطب العربية والأجنبية، فقرأ ولخص ودرس تأليف ابن سينا والبيروني والفارابي، والرازي وابن البيطار والأنطاكي، وغيرهم من علماء المسلمين واليونان، وكان لا يقرأ نظريا بل يحاول أن يطبق ما قرأه ويؤلف فيه، ويجري التجارب الشخصية عليه، فكان يقوم بإجراء التجارب على النباتات ويُركّب المعجونات الطبية، ويختبر موازين المياه و يرسم الرخامة الظلية، ويضع دائرة لبيان اتجاه الرياح(سعد الله، 2007، ج1، ص225).

وأما شيوخ ابن حمادوش فقد تتلمذ على علماء بلاده، وعلماء المغرب وتونس والمشرق، ومن هؤلاء الشيخ محمد بن ميمون، وعاصر علماء وأدباء أمثال أحمد بن عمار صاحب "نحلة الحبيب"، والمفتي الشاعر ابن علي، وعبد الرحمن الشارف، وأحمد الزروق البوني، وعدد آخر من المفتين وأصحاب الجاه كمحمد ابن حسين، والحاج محي الديز الزروق، وعبد الرحمن المرتضى، ومحمد المسيسني. وقد أجازه قراءة في المغرب محمد بن عبد السلام البناني الفاسي، وأحمد الورززي التيطواني، وأحمد السرائري، وأحمد بن المبارك وغيرهم(سعد الله، 2007، ج1، ص224-225).

وأما مؤلفاته فيغلب عليها الطابع العلمي أكثر من الطابع الفقهي أو الأدبي الذي شاع لدى علماء عصره، ونذكر منها: شرح على قصيدة الربع على كردفر/ تأليف على الروزنامة/ تأليف في الأعشاب (لعله هو كشف الرمزو المطبوع)/ تأليف في علم الفلك (ذكر فيه سبعة تواريخ تعلمها)/ تأليف في الاسطرلاب والربع المقنطر/ تأليف في القوس لرصد الشمس/ تأليف عن الرخامة الظلية بالحساب/ تأليف في صورة الكرة الأرضية/ تأليف في علم البلوط (معرفة الطرق البحرية)/ الجوهر المكنون (في الطب)/ بغية الأديب من علم التكعيب، واسمه أيضا: فتح المجيب في علم التكعيب/ تأليف في علم البونبة/ تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج/ تأليف في الطاعون/ تأليف في المنطق، واسمه "الدرر على المختصر"(سعد الله، 2007، ج1، 226-227).

3.1- التعريف برحلة ابن حمادوش"لسان المقال في النّبإ عن النّسب والحسب والحال":

أما قيمتها فيرى الأستاذ الباحث أبو القاسم سعد الله أنّ لرحلة "ابن حمادوش" قيمة كبيرة لعدة أسباب نوجزها فيما يلي(ابن حمادوش، 1983، ص23-24):

- أنّها جزء من التراث الجزائري العربي الإسلامي، الذي كُتب في العهد العثماني الذي رُمي بالجمود والتخلف.
- أنّها تحفل بالمعلومات عن عصره سياسيا وفكريا واجتماعيا، وعن معاصريه: أفكارهم وأخلاقهم ونظمهم وأذواقهم.
- أنّها مصدر هام لحياة المؤلف نفسه، بعد أن ضاعت مؤلفاته الأخرى، فهي مرآة حياته ونشاطه وتفكيره، رغم أنّها غير كاملة.
- أنّها تضم وثائق لا غنى عنها للباحثين في التاريخ الاجتماعي والأدبي والديني.
- أنها نادرة في نوعها، وهو فن الرحلة، إذ لم يبق لنا الزمن سوى عدد ضئيل جدا من الرحلات الجزائرية التي تعود إلى العهد العثماني.

وأما ملخص الرحلة فيمكن تقسيم الرحلة في محتواها العام الرحلة إلى ثلاثة أقسام"(سعد الله، 2007، ج1، 230-231):

- القسم الأول: هو قسم المغرب وهو من الصفحة رقم 2 إلى الصفحة رقم75، وهذا القسم هو الذي يصح تسميته "رحلة".
- القسم الثاني: هو قسم عن المؤلف نفسه في الجزائر، وترد أخبار هذا القسم مفرقة ضمن قصص واستطرادات، وهو عبارة عن مذكرات وحوادث يومية عن قراءاته وملاحظاته ونشاطه.
- القسم الثالث: هو قسم يتضمن نقولا كثيرة عن كتب ووثائق المتقدمين والمعاصرين: مثل الاكتفاء لابن الكردبوس، وكتاب تاريخ الدول للملطي، وأنس الجليل للعليسي، بالإضافة إلى مجموعة من عقود الزواج على عادة أهل مدينة الجزائر، وكذلك مجموعة من الأسانيد والإجازات والقصص العامة كقصة الفيل والعنقاء.

وأما موضوعات الرحلة فقد حوت رحلة ابن حمادوش مواضيع متعددة ومختلفة، تنبئ عن ثقافته الواسعة والتجميعية، والباحث فيها على اختلاف تخصصه يجد فيها ضالته، فالأديب والمؤرخ والجغرافي والفقيه وغيرهم يجدون مادة علمية أصيلة، رغم أنّ هذه المواضيع مفككة وتفتقر إلى الترابط العضوي، إلا أنّ هذا لا يُنقص من قيمة الرحلة، وعلى حد تعبير أبي القاسم سعد الله "هي كشكول فيه خليط من الحوادث والأفكار والنقول والمذكرات"(ابن حمادوش، 1983، ص23-24). وهذه المواضيع هي: المقامات، والرسائل الإخوانية، والتقاريظ، وعقود الزواج، والإجازات، والقصص، وأغراض الشعر العربي من مديح وحنين وفخر وهجاء ورثاء وألغاز.

4.1- النصوص التوثيقية في الرحلة:

عقد ابن حمادوش في رحلته فصولا للحديث عن عقود وخطب الزواج، وحرص على توثيق نصوصها كاملة، ومنه يستطيع القارئ معرفة الصيغة الكاملة لهذه العقود على اختلاف أنواعها، وهو رصد لمظهر ثقافي اجتماعي في الآن نفسه، ثقافيٌّ تبرز فيه براعة الفقهاء والعلماء وثقافتهم الدينية في إبرام عقود الزواج، مع اعتماد الخطب المسجوعة التي تنبئ عن شاعرية وأدبية رفيعة، واجتماعي لأنه يُبرِز العادات الاجتماعية الأصيلة لمجتمعنا الجزائري، وهي الاهتمام بتكوين الأسرة المسلمة في رحاب العقد الشرعي وهو الزواج، وإظهار الفرح والسرور بهذا الرباط المقدس.

وأذكر هنا أنموذجين من هذه العقود والخطب، مفصِّلا أهم ما جاء فيها:

النموذج الأول: صيغة عقد نكاح بِكر في الحَجر(ابن حمادوش، 1983، ص241-242):

عقد الزواج الأول للمؤلِّف: وعليه عادة بلادنا، وبمثله جرى العمل عندنا، عُقِد لي في حداثة سني على ابنة عمي وصورته: «الحمد لله، تزوج على بركة الله وتوفيقه المكرم الشاب عبد الرزاق ابن الحاج محمد ابن حمادوش مخطوبته فاطمة بنت عمه، المكرم الحتج أحمد الدباغ، البِكر في حَجره، وتحت ولاية نظره، على صداق مبارك قدره ما بين نقد محضر وحال منظر وكلي مؤخر بستمائة دينار بمهملة فمثنات كلها جزائرية خمسينية وقفطان واحد مؤبّرا وفردان اثنان وثلاثة قناطير صوف وأوقيتين ثنتان جوهرا وامة واحدة من رقيق السودان الصالح للخدمة، ينقدها من ذلك قبل البناء بها، وإرخاء الستر عليها شطر الدنانير المذكورة مع جميع الصوف والأمة المذكورين، والحال لها عليه القفطان والأفراد والجوهر المذكورين، وباسم الكالي وحكمه الشطر الباقي من الدنانير المزبورة يحل لها عليه لمضي ستة أعوام من تاريخه لا براءة له من الحال والكالي المذكورين فيه إلا بالواجب شرعا. أنكحها إياه بما سُمّي فيه والدها المذكور لحجره عليها ولما ملّكه الله من أمرها، وقبل الزّوج المذكور النكاح وارتضاه وأوجبه على نفسه وأمضاه قبولا ورضى تامّيْن. فبعد انقضاء النكاح بينهما وانبرامه التزم والد الزوجة المذكور للزوج المذكور بالسكنى مدة الزوجية بينهما من غير كراء يلزمه، كما طاع الزوج لزوجه بأن لا يتزوج عليها ولا يتسرا معها غيرها إلا بإذنها ورضاها. فإن فعل شيئا من ذلك أو أكرهها عليه فقد جُعل أمرها بيدها بطلقة بائنة تسلك بها أمر نفسها إن شاءت. وشهد على الزوج ووالد الزوجة المذكورين فيه بما فيه عنهما في أحوالهما الجائزة شرعا وعرفهما عينا واسما بتاريخ أزائل شعبان عام خمسة وعشرين ومائة وألف. محمد السعدي».

النموذج الثاني- صيغة لعقد نكاح لبعض البلنسيين لثيب شابة (ابن حمادوش، 1983، ص246-248):

«عقد زواج لبعض الأندلسيين: الحمد لله الذي أحل بنعمته النكاح، وحرم بحمته السفاح، ورفع عنا الحرج في دينه والجناح، حمدا يستمر على تعاقب المساء والصباح، وصلى الله على سيدنا محمد الداعي إلى الفلاح

والنجاح، وعلى آله وصحبه أولي الفضل والنهى والصلاح، وبعد، فإن هذا ما أصدق الشاب الأجل الطالب الأفضل أبو العباس أحمد ابن الشيخ المبرور الموقر المشكور أبو نصر فتح بن خليل، زوّجه الشابة السعيدة، هداها الله وأسعدها، فلأنها بنت الشيخ الأجل الوزير الأفضل أبو فلان فلان ابن فلان، أصدقها على بركة الله ويُمْنِه وحُسْن عونه والتماس توفيقه وإسعاده مائةَ مثقال واحدة من الفضة الخالصة دراهم سكية عشرية الصرف من الجارية كانت أو صرفها الآن نقدا وكالنقد. النقد من ذلك عشرة مثاقيل من الفضة المذكورة حالة عليه ولازمة لذمته لا يبريه منها حجة البناء، ولا طول مكثه معها إلا البيّنة على الأداء. والكالي سائرها وذلك تسعون مثقالا مؤخرة عنه ومؤجلة عليه إلى انقضاء عامين اثنين، أولها تاريخ هذا الصداق ولا براءة له عن شيء من ذلك إلا بواجب الإشهاد وواضح البيان إن شاء الله.

ونحل أبو نصر فتح بن خليل المذكور ابنه الناكح أحمد ابنه المذكور الربع الواحد مشائعا معه بثلاثة أرباع من جميع ما حوته أملاكه وضمته فوائده بوجوب المكاسب كلها وضروب الفوائد جميعها في الدُّورِ والأرضين كلّها، سقيها وبعلها، بورها ومعمورها عامرها وغامرها وشروب مما فيها، وأقنيتها وأفضيتها وولائجها ومسارحها وأنادرها ودمانها وغراستها وأنواع أشجارها على اختلاف أجناسها وشتى فنونها، مطعمها وغير مطعمها، متصلها ومنفصلها، بداخل قرية كذا وسائرها من القرى المجاورة لها إلى انقضاء أحوازها ومنتهى حدودها، وما كان مضموما إلى ملكه بها على جهات الأربعة ونواحيها أجمع، ومن البهائم والحيوان ذوات الأربع، ومن النحل فصاعدا أو من قليل الأشيد، دقيقها وجليلها، من الأصول الثابتة وغيرها، من كل ما له بال، أو يقع عليه ثقاف اسم مالك ومال، لم يستبق الناحل المذكور لنفسه حقا ولا ملكا ولا منتفعا ولا مرتفقا، حقيرا ولا خطيرا إلا نحل منه ربعه لابنه وأبقى لنفسه الثلاثة الأرباع بما لهذه النحلة المذكورة من المنافع والمرافق والحرم والحقوق والمدخل والمخرج نحلة صغيرة صحيحة تامة مبتولة جائزة ناجزة بلا شرط ولا ثنيا ولا خيار».

تحليل ما ورد في العقدين:

يمكن تحليل نص هذين العقدين، وأغلب عقود الزواج التي ذكرها ابن حمادوش وفقا للحيثيات التالية:

1- **اللغة التي كتب بها العقدان وبقية العقود:** هي لغة يغلب عليها الصنعة اللفظية، وهو ما كان شائعا في العهد العثماني، حيث يعمد الكتبة إلى الإكثار من المحسنات البديعية كالأسجاع والجناس والمقابلة والطباق وغيرها.

2- **المعاني المتضمنة:** تضمن العقد الأول صيغة القبول والإيجاب بين ولي الزوجة والزوج وشهادات القضاة على ذلك مع ذكر تفاصيل الصداق والشروط التي اتفق عليها الطرفان علما أنّ الزوج هو مؤلف الرحلة نفسه. أما العقد الثاني فتضمن عقد نكاح لشاب أندلسي من شابة ثيب بنت وزير وبيت جاه ومال، لكن مع التركيز على الصداق بنوع من التفصيل، وما منحه أبو الزوج لابنه من أموال وضياع وأملاك.

3- **الحقول الدلالية:**

- **في العقد الأول:**
- **الحقل التاريخي:** تعتبر هذه النصوص خاصة والرحلة عامة وثيقة تاريخية تؤرخ لنواحي الحياة المتعددة في الجزائر في العهد العثماني.
- **الحقل الديني:**

- الافتتاحية: تضمنت هذا العقد الافتتاحية التي تعارف عليها المسلمون في عقودهم وخطبهم من البدء بالبسملة والثناء على المولى عز وجل والصلاة على النبي المختار صلى الله عليه ويلم.

- العقد الشرعي: عقد النكاح وشروطه وفق مذهب الإمام مالك، كالصداق أو المهر مع التفصيل إن كان مقدما أو مؤخّرا، وصيغة الإيجاب والقبول بين ولي الزوجة (والدها) والزوج.

- الالتزام بشروط تضمنها العقد: هناك شروط بين الطرفين قد دُوّنَت في العقد وجب الالتزام بها، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: "**المسلمون على شروطهم**" (الشلاحي، 2012، ج09، ص191). وفي هذا العقد اشترط الزوج السكنى على والد الزوجة دون أن يأخذ عنهم ثمن الكراء، كما اشترط على الزوج عدم التزوج عليها أو التسري بغيرها، والتسري: هو أن يتخذ سيد أمته الرقيقة للجماع ولا يجامعُها غيره. وحكم التسرّي في الإسلام أنه جائز بالكتاب والسنة والإجماع متى تم بشروطه، فالله تعالى يقول: ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين**﴾ (سورة المؤمنون: آية5-6). وسُميّت الأمَة التي يختارها مالكها سريّة له لأنها موضع سروره، ولأنّه يجعلها في حالٍ تسرّها دون سواها، أو أكثر من سواها.

- الطلاق البائن: الطلاق البائن هو الطلاق الذي لا يحقّ للزوج بعده أن يقوم بإرجاع مطلقته إلا في حال رضاها، وبعقد جديد، وهو على أقسام يذكرها الفقهاء.

- **الحقل الاجتماعي:**

- وعليه عادة بلادنا: بيّن ما جرت عليه عادات المجتمع الجزائري في الزواج.

- عقد لي في حداثة سني: عادة المجتمع العربي تزويج الشباب وهم صغار السن والأرجح كما يقول المحقق أن سنه كان حوالي 18 سنة.

- على ابنة عمي: عادة المجتمع الجزائري في أغلب الزيجات اختيار ابنة العم زوجة، وأولويتها على غيرها، وفي ذلك يقول المثل الجزائري: "**خُذ الطْرِيق الصْحِيحة وَلَوْ دَارَتْ وْخُذْ بَنْت العمّ وَلَوْ بَارتْ**"(بوتارن، (دت)، ص153).

- الصداق: أو المهر وهو ستمائة دينار كلها جزائرية، وقفطان واحد مؤبّر وفردان اثنان وثلاثة قناطير صوف وأوقيتين ثنتان جوهرا، وأمة واحدة من رقيق السودان الصالح للخدمة. وهو ما اشتهر في المجتمع الجزائري مع بعض الخلاف بين الأغنياء والفقراء، حيث يشمل الصداق المال والألبسة والصوف لصناعة الوسائد واللحف، والرقيق للخدمة.

- اتخاذ الرقيق للخدمة: وهذا يدل على أنّ ظاهرة اتخاذ الرقيق كانت موجودة في العهد العثماني، ولم تنته إلا في عهد قريب.

- العلاقات الطيبة بين الزوج ووالد الزوجة: حيث أسكنه في سكناه دون كراء ولكن هذا الفعل غريب عن عادات المجتمع الجزائري في وقتنا الحالي الذي يُحبّذ عدم السكنى عند أهل الزوجة، لأنه يرى ذلك إنقاصا من قدره وقيمته، وفي ذلك يقول المثل الشعبي: "**رقاد النسيم ولا رقاد النسيب**".

- شروط اجتماعية: اشتراط شروط تحدد من حرية الرجل في تعدد الزواج، وهو سلوك لم يكن معهودا عند أجدادنا، وهذا من فقه المؤلف وسعة صدره.

- **في العقد الثاني:**
- **الحقل التاريخي:** تعتبر هذه النصوص خاصة والرحلة عامة وثيقة تاريخية تؤرخ لنواحي الحياة المتعددة في الجزائر في العهد العثماني، كما ذكرنا في العقد الأول.
- **الحقل الديني:**

- الافتتاحية: تضمن هذا العقد الثاني الافتتاحية المتعارف عليها عند المسلمين كما ذكرنا في العقد الأول.

- الصداق: أو المهر، وقد أعطاها صداق مثلها كما يقول الفقهاء، وهو صداق يساوي مكانتها الاجتماعية، فلِأنّها بنت جاه ومنصب لا بد أن يكون الصداق كبيرا ومناسبا خاصة أنها بنت وزير.

- **الحقل الاجتماعي:**

- غلاء المهور: المغالاة في الصداق ظاهرة اجتماعية كانت سائدة في العهد العثماني في أوسط العائلات الجزائرية، وكذا العائلات الوافدة من بلدان أخرى كالأندلس، حيث تطبعوا بهذه الصفات، خاصة حينما يكون العريسان من الطبقة الاجتماعية الراقية، أغنياء أو ذوي نفوذ وسلطة.

- هدية الزواج من الأب: وهي ظاهرة اجتماعية فريدة من نوعها في المجتمع الجزائري، حيث بعد زواج الابن مباشرة وتحمله مسؤوليات الحياة، يورثه أبوه نصيبا ليس بالهين من جميع أملاكه على شكل هبة له، هدية له لزواجه.

- زواج الثيب: في المجتمع الجزائري في العهد العثماني وفي عهد قريب من آبائنا واجدادنا، كانت الثيب مطلقة أو أرملة يعاد خطبتُها والزواج بها، ولو لم تكن غنية أو ذات جاه ومال -بخلاف ما انتشر في عصرنا الحديث من العزوف عن الزواج بهذه الفئة من النساء- وهذا ينبئ عن الثقافة المتحضرة لمجتمعنا في العهد العثماني الذي لا يرى عيبا أو ضرا في خطبة الثيب والزواج بها، سترا لها ودمجها في الحياة الاجتماعية من جديد..

2- الخلاصة:

بعد هذه الجولة العلمية في رحلة ابن حمادوش خَلصتُ إلى النتائج التالية:

- تُعتبر الرحلة سجلا هاما لمختلف مظاهر حياة الشعوب والأمم، سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية ودينية.
- الرحلة كشاف جغرافي للدول وحواضرها، يتفحص الباحث من خلالها معالم المدن والحواضر، ومشاهدات الرحالة لها مع وصفها بمثابة تصوير فوتوغرافي لهذه الأمصار والمناطق، مع روعة العرض وجمالية التعبير.
- من أهم وأبرز الرحلات الجزائرية رحلة الشيخ ابن حمادوش وفوائدها جمة:
  - أنّها جزء من التراث الجزائري العربي الإسلامي، الذي كُتب في العهد العثماني الذي رُمي بالجمود والتخلف.
  - أنّها تحفل بالمعلومات عن عصره سياسيا وفكريا واجتماعيا، وعن معاصريه: أفكارهم وأخلاقهم ونظمهم وأذواقهم.
  - أنّها مصدر هام لحياة المؤلف نفسه، بعد أن ضاعت مؤلفاته الأخرى، فهي مرآة حياته ونشاطه وتفكيره، رغم أنّها غير كاملة.
  - أنّها تضم وثائق لا غنى عنها للباحثين في التاريخ الاجتماعي والأدبي والديني.
  - أنها نادرة في نوعها، وهو فن الرحلة، إذ لم يبق لنا الزمن سوى عدد ضئيل جدا من الرحلات الجزائرية التي تعود إلى العهد العثماني.
- في هذا البحث وقفنا على جانب مهم مما حوته الرحلة وهي النصوص التوثيقية لعقود وخطب الزواج، وما حوته من حقول دلالية دينية واجتماعية.

أما التوصيات فنرى:

- وجوب الاعتناء بالتراث الجزائري خاصة منه أدب الرحلات بالدراسة والبحث.
- ضرورة فتح مشاريع دكتوراه لأدب الرحلات خاصة الجزائرية منها.
- التركيز على الجوانب الاجتماعية والثقافية، التي تتجلى فيها ملامح المجتمع الجزائري في العهد العثماني.

- المراجع:

1) حسن زكي محمد، (1981). الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ط1. بيروت: دار الرائد العربي.

2) عبد الغني مصطفى، (2007). من أدب الرحلات، مشرق مغرب، ط1. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

3) الشوابكة نوال عبد الرحمن، (2008). أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ط1. عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع.

4) بخيتي عيسى، (2016). أدب الرحلة الجزائري الحديث -سياق النص وخطاب الأنساق-. رسالة دكتوراه غير منشورة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب الجزائري الحديث، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر.

5) نويهض عادل، (1980). معجم أعلام الجزائر، ط2. بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية.

6) ابن حمادوش عبد الرزاق، (1983). رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة " لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، تحقيق أبو القاسم سعد الله، ط1. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

7) أنساعد سميرة، (2009). الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ط1. الجزائر: دار الهدى.

8) ابن منظور أبو الفضل محمد، (دت). لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، ط1. القاهرة: دار المعارف.

9) نواب عواطف محمد يوسف، (1996). الرحلات المغربية والأندلسية، مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، دراسة تحليلية مقارنة، دط. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

10) وهبة مجدي، (1984). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2. بيروت: مكتبة لبنان.

11) بن قينة عمر، (1995). اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، دط. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

12) العلوي سعيد بن سعيد، (1995). أوروبا في مرآة الرحلة -صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، ط1. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.

13) حليفي شعيب، (2006). الرّحلة في الأدب العربي- التّجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيّل-، ط1. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.

14) الشامي صلاح الدين علي، (1999). الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، ط2. الإسكندرية: منشأة المعارف الإسكندرية.

15) الصعيدي عبد الحكيم عبد اللطيف، (1992). الرّحلة في الإسلام- أنواعها وآدابها-، ط1. القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب.

16) سعد الله أبو القاسم، (2007). أبحاث و آراء في تاريخ الجزائرط3. الجزائر: دار البصائر.

17) بوتارن قادة، (دت). الأمثال الشعبية الجزائرية، بالمثال يتضح المقال، ترجمة عبد الرحمن حاج صالح، دط. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

18) الشلاحي خالد بن ضيف الله، (2012). التبيان في تخريج وتبويب أحاديث يبلوغ المرام، ط1، بيروت: دار الرسالة العالمية.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

بزاوية مختار ، شايدة سفيان ، قازي تاني ليندة (2023)، **النصوص التوثيقية في رحلة ابن حمادوش الجزائري - قراءة في المنهج والمحتوى-**، مجلة أنسنة للبحوث و الدراسات، المجلد 14 (العدد 2)، الجزائر : جامعة زيان عاشور الجلفة، ص.ص 194-206.